تبلغ الجزء الثاني من الرواية فاذا بك منذ اول كلمة وحتى اخر كلمة امام جملة واحدة تمزج صورا ، سبق لك ان رأيتها ، باخرى (سوف تراها في الجزء الثالث) ، بخيالات جنسية وتاريخية تمنحك شعورا غامضا بأمر عظيم ، ولكنها تدعك على سطحها ترتقب منفذ كلمة للدخول الى باطن الجملة ٠

وتقرأ القسم الثالث فتدرك ان الرحلة تستأنف نحو الجنوب الى اقاصي مصر ، ولكنك تجد نفسك من جديد امام نفس العالم الذي شهدته في الجزء الاول من الرواية وان اختلفت الاحداث ومرادها ٠ ثم ترى الراوي يباشرك الحديث مباشرة لم تعهدها من قبل ، وتشعر انه اصابته بعض السأمة من التكرار فاراد ان يبلغك بالكلمة الصريحة ما حاول سابقا ان يبلغك اياه بالايحاء ، ولكنك تشعر كذلك بانقطاع الحركة الاولى ، وسرعان ما تدرك ان هذه وسيلة للاسراع في الانحدار : الانحدار من قمة ، قمة النص (اذ يبدأ الترقيم من ٤) ، وقمة الرحلة (اذ الجديد قليل في ما ترى) ، حتى القطار ، ومنه الى القاهرة ٠ هكذا تقودك الرحلة بحركة دائرية الى المنطلق وانت لا تزال على سطح الدائرة ٠

وقد يدفعك فشلك في فهم الرواية الى التساؤل : اهي حقا رواية ؟ اليست مذكرات او يوميات هزيلة تتخللها بعض الذكريات وبعض الخواطر الانسانية ؟ غير ان الصفحتين الاخيرتين الملحقتين بالنص تصفعانك ، اذ يعلن المؤلف فيهما ان عمله هذا انما هو رواية ، كأنما استشعر في كل قارىء هذا الفشل الذي ادركته ٠

عمل ليس بمذكرات وليس برواية كما عهدتها في الادب العربي وفي اكثر الاداب الاجنبية ، ويقحم المؤلف نفسه فيه بشراسة ليؤكد لك انه كذا ٠ اذن لا بد ان ميزته الرئيسية هي هذه العناصر التي صدتك الى سطح الدائرة ، فلا بد ان فيها ايضا المنفذ الى قلب الدائرة ٠

□

اولا : الدائرة

١ ـ الرحلة او ابعاد الدائرة

انها رحلة في اعماق مصر ٠ رحلة بشكل الدائرة متعددة الابعاد ، من اداني مصر الى اقاصيها ٠

فجغرافيا ينطلق بنا القطار مع الراوي من شمال مصر ، من القاهرة الى اسوان ، ومنها تستأنف الرحلة على النيل حتى اقصى الجنوب ؛ حتى ابي سنبل ٠ القاهرة : المركز الحديث للدولة ، ابو سنبل : المركز الروحي القديم للدولة المندثرة ٠ وان لم نصل فعلا الى حدود مصر الجغرافية : الاسكندرية شمالا ، وحدود السودان جنوبا ، فاننا نرافق الراوي اليها عبر الذكريات (الاسكندرية) او عبر الحلم (ألم يحلم الراوي انه يهرب الى السودان مع ذهني ؟) وتنتهي الرحلة من حيث ابتدأت : القاهرة ، يحاول الراوي ان يفلت من هذه الحدود فيستقل الحلم نحو الجنوب هربا من الحركة الدائرية لكنها تشرقه ٠ محاولة يعبر فيها اللاوعي عن احكام هذه الحركة الدائرية ٠

وتاريخيا ننطلق من احد ايام اوغسطس عام ١٩٦٥ ، عام تحويل النيل ، ونعود شيئا